رسائِلُ حُبّ

عبد العزيز أمزيان

قاصٌّ وشاعرٌ مغربيّ، من مواليد مدينة القصر الكبير (المغرب)، عام ١٩٦٣. مجازٌ في اللُّغة العربيَّة، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بمدينة تطوان، ١٩٩٠، حاصلٌ على شهادة الأهليَّة التربويَّة للتعليم الثانوي من المدرسة العليا للأساتذة بفاس، ١٩٩١. يعمل أستاذًا في التعليم الثانوي التأهيلي بمدينة الدار البيضاء منذ تخرُّجه. يَهوى الشعر والأدب، وله كتاباتٌ وأنشطةٌ ثقافيَّةٌ مختلِفة. حازَ عن مؤلَّفه الحاضِر إحدى جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة (جائزة الأبداع، ٢٠١٣).

Abdul-Aziz AMEZIAN
Rassa'ilu Hubb
رسائِلُ حُبّ

رسم الغلاف بريشة الفنَّان التَّشكيليّ **حسن جوني**
Illustration de la couverture par ***Hassan Jouni***

© *Tous droits réservés* – All rights reserved – الحقوق محفوظة – *Todos los derechos reservados*
1ère édition, janvier 2014 – 1st edition, January 2014 – Primera edición, enero 2014 – الطَّبعة الأولى، كانون الثَّاني ٢٠١٤
ISBN 978-9953-580-36-4
دار نعمان للثَّقافة

يُدرَجُ هذا المؤلَّفُ في إطار سلسلة "الثَّقافة بالمَجَّان" التي أنشأها ناجي نعمان عامَ ١٩٩١، وما زال يُشرِفُ عليها. تُستَقبَلُ تعليقاتُ وسائل الإعلام والأفكارُ الشَّخصيَّة على العنوانَين، البريديّ والإلكترونيّ، الآتي ذكرُهما؛ كما يُقرَأُ الكتابُ مجَّانًا على مَوقع المؤسَّسة أدناه:

مؤسَّسة ناجي نعمان للثَّقافة بالمَجَّان

FGC Naji Naaman's Foundation for Gratis Culture
A non-governmental & non-profit organization – License N° 454 dated March 9, 2011
P.O.Box 567 – Jounieh (Lebanon) – Fax and Phone: 00961 – 9 – 935096
Web site: www.najinaaman.org – E-mail: info@najinaaman.org

عبد العزيز أمزيان

رسائِلُ حُبّ

جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة
مؤسَّسة ناجي نعمان للثـَّقافة بالمجَّان

المتاع في الحبِّ والإبداع

نحتاجُ في هذا الزمن ألوانًا من الآداب، وأنواعًا من القول لم يتمَّ طرقُها كثيرًا في الأدب العربي الحديث والمعاصر. ومن تلك الألوان والأنواع فنُّ الترسُّل، وبخاصَّةٍ الترسُّلُ في الحبّ.

لقد قيَّدَ الله لنا في زمن ما – ونحن أحداث – أن نطَّلع على رسائل الحبِّ التيَّاهة في سبحات الخيال المجنَّح عند الشاعر والروائي العبقريّ فيكتور هوغو، تلك التي بعث بها إلى حبيبته الممثِّلة جولييت دروي التي أنفق قرابة خمسة عقود في الترسُّل معها؛ وهو، في هذا، المترسِّلُ بامتياز، استنادًا إلى الفارق بين المترسِّل والمرسل كما ورد عند ابن وهب (ق ٤) في كتابه المَوسوم بالبرهان في وجوه البيان. ومن بعد هوغو قرأنا رسائلَ الأديب العالمي جبران خليل جبران ومي زيادة، ورسائل مصطفى صادق الرَّافعي، وهي تتَّصف بكونها رسائل من دون أجوبة، يتصوَّرُ فيها الأديب الألمعي الفذّ شخصَ المحبوب، فيتحدَّث إليه حديثَ العاشق الوامق في خطرات تأمُّليَّة ونظرات فلسفيَّة ثرَّة... وهذه الرسائل، رسائل الرَّافعي، بحَسَبي، هي أكثر الرسائل جمالاً وسحرَ بيان وعمقَ متاع.

قراءة رسائل الأديب والصديق عبد العزيز أمزيان لا تغرب عن أسلوب الرَّافعي في اللُّغة والوصف معًا، إلا ما كان مخصوصًا بجنان أمزيان، وبحناياه. وهي رسائل عبارة عن مرآة لصاحبها وقطعة من حياته الهانئة تحكيه – أديبًا وإنسانًا – له كبد تشفُّ وقلب يحبّ.

رسائل أمزيان ينبوع من البيان وآماد واسعة من القول العذب. ولو شئتَ أن تقوم بثبت بالألفاظ الدالَّة على شؤون العِشق بها، من المتعارَف عليه والموحى

به، لأنستَ بها كلَّ مطلب وأممت كلَّ غاية ممَّا يعتورُ المحبَّ الهيمان من اللذَّة والنشوة والسهو (رس١).

والمعشوقة في هذه الرسائل من لحم ودم وعظم حينًا، ومن ضوء بهير وعشق أسطوري حينًا آخر. إنها صورة ما يكابد الأديب، لا حكاية واقع متاح وشائع بين الناس... إنها تخلق في روحه كنورس لا يشبع من الرقص بعيدًا في شمس الفرحة (رس ٢٠).

إن في هذه الرسائل عجبًا يبعث على الإعجاب ولذَّة تستزيد لذاذة ومتعة تقتصي متاعًا آخر وإبداعًا لا اتباعًا.

هنيئا لشاعرنا الأديب الطيِّب عبد العزيز أمزيان بالذي عرضه علينا من حنايا الفؤاد وثبات العقل، وهنيئا للقارئ العربي هذا الجمال الجميل المترَع صدقًا.

عبد الناصر لقاح

الأولى

صدِّقيني، إن مراسلتك تحمل لى الكثيرَ من معانى الوجود، حتَّى إن عينىَّ تغرورقان بالدموع، وأمسى شبهَ مسحور بنَبْضك فى قلبى، وهائمًا برياحينك فى روحى. أتحسَّس أشلاء حواسى الهاربة إليك فى سديم العمر، وملائكة تحيط بى كما لو كانت تفرشِ عبقها منك، وترفرف فى ضوء النهار. تزينى سحائبك وضفائر روحك المتدلِّية فى جذوري، كما لو كنتِ جزءًا من وجودي، هناك فى ذلك المكان القصى. أنت عبق الزهر، كما لو كنت مرآة دمعى المتهاطل على خدّي. أسمعك، وأسمع أنينَ نشيدك المرسوم على خرائط المساء، المنحوتِ على شفق الليل، المترامى فى أصقاع الوجود. هل تسمعين نبضى؟ أراك بعينَين مشدوهتَين، تمسحين ندى دموعى بأصابعك الحريريَّة فى خدّي! أحقًّا يمكن أن أراك الآن على عتبة عمري بثوبك الأبيض الشفَّاف، وأنت تحلِّقين فى روحى كنورس لا يشبع من الرقص بعيدًا فى شمس الفرحة؟! بهذا الحلول فى جسدي عبق الزهر. لماذا كلما جئتِنى سرحت عميقًا فى أشجار الليمون وظلال الفراشات وأريج الرذاذ المتطاير من عينَيك؟ لماذا كلما جئتنى حملتنى مراكبك بعيدًا، بعيدًا؟! حلمت بالورد، والشمس، والبحر، والشفق، ورأيتك واضحة تملئيننى بالسفر إليك، تملئيننى بالمطر! لماذا فيك كل هذا الانجذاب؟ أكاد أذوب فى ألوانك الرمادية. أسابق الريح على صهوة من أريجك.. احمليني فى روحك، احمليني عسى يكون لي هذا التلاشي في زهر عمرك، أو أكون قصبًا في روضك..

عزيزتي لا أستطيع الاستمرار في الكتابة. أرجو أن تخبريني بأن نبضاتي وصلتك؛ ولك عميق الحب والزهر، عزيزتي..

الثَّانية

ستظلِّين دومًا فى روحى، بهذا العطر الملائكىِّ الَّذي يهبُّ مع كلِّ نفحة نسيم، طفولةً يانعةً تركضُ فى أهازيج الشَّمس الصَّافية، تسبحُ فى الرَّحيق، وبياض السَّماء المُثخَنَة بأكاليل الماء، وعناقيد الحلم الأخضر، وظلال الأعشاش، أعشاشِ العصافير المَرسومة

بألوان النَّهار، وعمر الوادي في أنفاس الصِّغار. تتفتَّحين في عينَيّ، كفجر يستيقظُ على عروش الغابات، يمضغُ نشيدَ السُّكون، وصفوَ الأشجار، تتفتَّحُ معك كلُّ مسامِّ الورود، وتلال البحور، يحطُّ في كفِّي الشَّفق، وتزهرُ الطُّيورُ في أصابع نسماتك، ويكبرُ اللَّحن والصّقصاف والضَّوء وكلُّ مراياك، مراياكِ الَّتي ستسكبُني في سواقي العمر وزخارف الطِّين، كي أتعدَّدَ في احتراقك واشتعال المسافات. ليتَكِ تنحتينني تمثالاً على ضفائر نهارك! أو ترسمين روحي جدولاً في لوحة شمسك! ليتكِ تجذبينني مع الرِّيح بقوَّة زلزال! أكونُ بين يدَيك، تعزفين نشيد الخلود في روحي؛ آهٍ، ليتني أملكُ قوَّة السِّحر! أغطِّيك بملاءة روحي، أجعلك ملاكًا ينامُ في حِضني، على زهر اللَّيمون، ورائحة البرتقال، وضوء القمر. وأهدهدُ زورقَك على هديل حمام ورقص الموج وحمرة الشَّفق! ليتكِ تكسرين أفقَ نظراتك على جسدي، كي أعانقَ فيك مواويلَ الرُّوح، وحلم المطر في عينَيك.

تَقبَّلي نَبَضاتي، ولكِ عميقَ الحبِّ والورد.

الثَّالثة

عزيزتي عبق الزهر: وصلتني رسالتك، محلِّقة في ضباب العمر، كوريقات خضر، تتهادى على أكتاف الأنسام، مطرَّزة بحلم عارم كموج، كرذاذ غشي روحي ببرد الأزل، وماء الخلود على جسدي المعشوشب بتضاريس أفراحك البعيدة. تمنيت لو أفرش البساط! بساط حلمك الوردي – كما تسمِّيه في خلدك وخلودك – بالرياحين الطريَّة، والحرير الناعم، وماء النهر الرقراق، وهسيس الأدواح، وهمس العصافير من الفردوس الملائكي. تحمله إليك، روحي، مع فجر يطلع من عينَيك صافيًا كلؤلؤة ، شاسعًا كشساعة الشمس في قلبك وحلمك.

هذا امتدادك يحصد سنابل الشوق والعمر. يحصدني مرمريًّا بلوريًّا، فيرميني على عتبتك. أزهو بين ندالك، يخفق قلبي. أرتعد من شدة السحر، فتعانقين روحي. وأهدأ، أهدأ – تمامًا – كما لو كنت في روض زكي النبات، طيِّب الرائحة. أفي روحك كل هذا الغنى؟ كل هذا السمو الذي ما فتئ يزهر في أرضي. كل هذا الماء والومض والضوء والزجاج والورق وعناقيد شمسك، تتدلَّى من سماء الحلم، ومدى عينَيك. ألَم أقُل لك إن لعينَيك كل هذا الانجذاب؟! ولروحك كل هذا السحر! لم تصدِّقي ساعتَها. وطفقت، تخطِّين في رسالتك – التي جاءتني، مضمَّخة بأنفاسك وعطرك وبريقك – أنِّي أعود بك إلى زمن الحكايات، وقصائد غزل وعشق عذري، أعلو بك إلى هامات السحُب، تقهرين جاذبيَّة البُعد، وتبقين محلِّقة إلى أن يشاء الله أن تمكثي العمـــر بين عينَي، حيث الحياة

التى تشتاق لها الروح، وحيث الدفء الذي يشرق من قلبى الرقيق. لَكَم كانت كلماتك مدوية! ورسالتك صفعتنى صفعة قويَّة، صحوت منها على رنين روحك، وجرح رصيف العمر. ألَم أقُل لك منذ أن أعلنت حبي وهيامي، إنَّك قدري، وأنا قدرك الأعمى الذي سيضيء شموع دربك ووحشتك ووحدتك؟! أليست قصائد الغزل والعشق العذري هي القصائد التي خلَّدها التاريخ، وظلَّت تحفر عميقًا في قلوب العاشقين على مَرِّ العصور والأحقاب؟ سأكتبك بمداد العشق، سأعلن فيك انشطاري وانشطار الفرحة على صفحة ماء النهر، وانكسار حلمي على أوراق عمرك. عمرك اليانع في ذاكرتى وشمسي وموتي. والى آخره والى آخر العمر، أزلزلك في يقيني.

تقبَّلي حبي والكثيرَ من الورد والماء وأريج الشمس في صرخاتي.

الرَّابعة

عزيزتي عبق الزهر: وصلني عطر ورودك وشذى ياسمينك. شممتهما ملءَ اشتهائي، حتى كادت نسائمهما اللطيفة توقظ في نفسي المراكب الراقدة في ظلال الأحلام، وتهيج في مهجتي الشراع النائمة في لوح السفر. أقلب عن طريق توصلني إلى روحك التواقة إلى أناشيد الشمس، ولحن البحر فى أعالى السحاب، وضجيج النوارس في كفيَّك، تمخر عباب المطر، تفتح فردوس النور فى رمال أصابعك الرقيقة، تلك التى تدفنينها فى جسدي، فتخرج من روحي عصافيرك مثخَنَة بالسحر، وومض عينَيك يغريني بالنعاس، فأنعس على نعومة فراشاتك الهاربة إلي. أنجلي وتنجلي في روحي برتقالتك الوارفة. تمسينِ غديرًا في دمعي. أتلألأ وتلمع وجنتاك كنهر، فتغطِّينني بورقك الأخضر، وترشِّينني برذاذ نبتك. ليت أناشيدك تحتويني كشلاَّل! أفي روحك كل هذا الماء؟ هذا الماء الذي يجرفني إليك كقدر. أيمكن أن أسبح في هذا الفضاء العارم؟ وتكونين أنت ملاذي وشمسي وبحري وسمائي وشجري، ذاك الذي يراقص فى روحى هذا الغنج، وهذا السيل من الفرح، واللذة المغموسة في ريش البحر، وجناح الريح المسافر فى أهداب ألوانك، ورموش عطرك الباذخ. ليتك تنامين على سرير ناعم بقرب القلب وخفق الروح! أعلمك كيف تسبحين في نسيم العطر؟ كيف تهدهدين قمرك على عروش الضوء، كما تفاحة بلون بساتين الروح؟ تقولين: إنك لم تعتَد هذا السيل الجارف من المشاعر، وهذا الدفق من الحنان والعاطفة، وتضيفين إذ من الغريب أن أكاتبك بهذا الحب الكبير، ولم يمض على تعارفنا إلا أيَّام قليلة جدًّا. وهل تعتقدين- عزيزتي - أن الحب يُقاس بالزمن؟ وأن قلب المحبِّ يخفق بعد وقت طويل من التعارف؟ دعيني أرسم

على وجنتيك قبلتي التي لن يمحيَها الزمن. دعيني أنحت خفقاتي في روحك. تشهد ولَهي بك. ولك حبي وروحي وكل الزمن وأثيري من عينَيك وعيني نهرك في رحيلي إلى شمسك.
تقديري وكثيرٌ من الورد والعطر، وأنفاسي.

الخامسة

سأظلُّ أكتب إليك، بالحماس نفسِه الذي عهدته في نفسي، بقدر الحيوية التي زرعتها رياح أياديك في روض القلب، منذ أن بعثت أول شعاع، من روحك على جناح الشمس إلى روحي، مغموسًا في نسيم النهر وبريق التفاح المرسوم على صفحة الوادي بين فجاج السماء الصافية، صفاء الروح والبرد والمطر ورموش الحلم المنحوتة في دهاليز ذاكرتك المرمريَّة.
أعانق فيك هذا الجرح! فأسمو كعندليب، يزقزق – عاليًا – في أدواح الغابات، وأوراق العمر، والتوت والزهر والليمون والقرنفل؛ ثمَّ أغدو شقشقة تطفو على مراسي فجرك. أنبت في مسامعك حمرة الخوخ وخضرة البحر وبياض ملائكة الروح، حتَّى إنَّك ستتفتَّتين من سحر هذا الطقس، وربما تذرفين دموعًا ساخنة على خد الهمس، تتحسَّسين نبع الحياة، وأنشودة الورد، ونبض الريح في شهقة أناملي. سأطوِّقك مثل النسيم، وتكونين الفرح المشتهى. سأجعل السواقي تمشي في عينَيك. تكبرين كحمام يفرش السماء، ويحلِّق في الملكوت، وتمسين شمع الفؤاد ونورس القلب. ستحطُّ الفراشات على أفنان الشفق في روحك، وتلوِّن مساءَك برذاذ العطر وقطرات العمر المتبقِّي في خريطة الهُيام.
ليتك تعصرين كنهَ امتدادي في جذور أحلامك! ليتك تكشفين هذا السر الدفين الذي يدفعني بقوة جارفة إلى مناجاتك بهذه العواطف! أنت هناك على ضفاف المراكب الرابضة، لا تقدرين أن تدفعي شراع السفر إلى عاصفة الموج، لذلك تبلعين أنينك وتخفين مواجعك وراء غيوم العمر. ليتك تفهمين عمق الطين المبلَّل برياحينك!
أنا أنفاسك التي ستسقيك بورد الروح. أنا نبضك الذي سيشعل حلمك بندى العطر. أنا جناحك وفجرك ونافذة لزرقة المطر في عينَيك. أتدفَّق في ينابيعك، فتولَدين بعباءة السعادة المرفرفة في رحابة الوجود وفضاء الكون.
ليتك تستوعبين المشهد السحري! والطقس الفاتن في مملكة العشق، وأكون نورسًا في ضفاف عمرك. وإلى آخر العمر أكتب فيك هيامي وانشطاري، وإلى آخر العمر أحضن فيك جراحي.
تحيَّاتي وكثيرٌ من الحب والورد.

السَّادسة

عزيزتي عبق الزهر: لَكَم كنت ودودة اليوم وبهيَّة، كما سنابل القمح، وزهر الرمَّان، وندى الليل البهيم. تمنَّيت لو أكون وحدي قبالة البحر! أرسم وجهك في هدير الموج وبرودة النسيم. أزرع شوقي في أنفاسك المبللة برذاذ عطر الماء، ورغوة الحلم الجميل في كف الريح. ليتك تسمعين الآن نبض روحي وفرحة القلب المترع بصفاء شمسك! ليتك تعلمين مقدار اندهاشي لسحر كلماتك ووقعها في خرائط العمر ودهاليز الحياة! هل أصبح قديسًا في بهاء حبك؟ أتلو تراتيل الفرح على ضوء القمر ووهج الطين ومصابيح الأيام، وأفتح طريقًا لنهر الورد ودربًا لشجر السماء. أحضنك عميقًا إلى روحي، كما لو كنت أخاف عليك من غيم البرتقال، وسحاب الثلج، ورقصة المطر في عينَيك. أيمكنُ الحبَّ أن يصنع مني هذا الانفلات وأزهر في براري أحلامك، كما سفن شاهقة في نهاية الأفق الممتد على صفحة الماء؟ أيمكن أن أراك الآن تطلِّين على نافذة عريضة. تنتظرين – بشوق عارم وحب غريزي – نسيم أصابعي المغروسة في نشوة روحك، وعطر فؤادي المرشوش بجمال عينَيك، وملاحة نظراتك. آهٍ، عزيزتي! صدقت حواسي، وانتصر القلب والروح والوجدان على ما سواهم. كنت موقنًا أن بحر هيامي سيغرقك في نشيدي وموالي، لأن نشيدي كان أعمق، وموالي كان أسمى.

لَكَم فرحت لهذا الانصياع منك! فقد انصعت قبلك لسلطان الحب، وتركته يجرفني إليك بقوة زلزال، وطفقت أكتب إليك عواطفي بمداد الروح ودم القلب.

وها أنت اليوم، تفتحين صفحة جديدة في حياة عمرنا بهذه الرسالة، هذي التي بعثت بها على جناح السرعة كما رجوت: اليوم على غير عادتي أحببت أن أقرأ رواية ليوسف إدريس عنوانها "البيضاء"؛ وأقول على غير عادتي لأنني قليلة القراءة، وأملُّ كلَّ رواية أقرأها بعد فصل واحد، فأتركها وأسافر لغيرها. لا أدري متى أنتهي من هذه العادة الغريبة.

ما يهمُّ أنِّي وجدتُ في هذي الرواية سطرًا يعبِّر عني وعنك، يقول: "يخيَّل إلي أننا نحب الإنسان لشيء لا نستطيع تحديده فيه"... "روحُه؟ مجموعُ أجزائه الظاهرة وأجزائه التي لا تظهر؟ دمُه؟ شخصيتُه، ظله".

صديقي، رائع إحساسك إن كنت صادقًا فيه.. وأحسك صادقًا.. ولكن، يجب أن تعدني أن لا تقودك هذه المشاعر إلى مشاعر أكبر وأعمق. يكفيني منك هذا الإحساس الكبير، فأنا من عادتي أخاف التيَّار الجارف؛ أخاف ركوب الأمواج، لأنني كنت دائمًا مجرَّد متفرِّجة تركنُ لزاويةٍ آمنةٍ عن مدِّ البحر.

جميل أن نبقى هادئين، نستقلُّ مركبًا، سويًّا، وندعُ البحر بهدوئه أن يمضي بنا، من دون أن نلزمه بسرعة كبيرة ليصلَ بنا إلى شاطئٍ ربما يكون وهمًا أو سرابًا.

أتدري؟ أشعر بجمال هذا الليل أكثر، فأنت معى، تسامرنى؛ ليتك تبقى دائمًا نجمى وسمائي. هل لي أن أنتظر ردَّك قبل أن أنام؟

تحيَّاتي مع كثيرٍ من الورد والزهر.

السَّابعة

عزيزتي عبق الزهر: ها أنتِ تطلِّين علي، من كوَّة الضوء بوجه سرمدي، وروح قلقة مضطربة. تخدشك أظافر السحاب، تلوي عنقك وعنق الأحلام في أرخبيل النجوم، وصقيع الوحشة المضروبة فى زوابع البحر الهائج، وعواصف المطر المنهمر على أشرعة السفن المنكسرة على صخرة المساء، وجلمود الليل الحالك. ها أنتِ تتصببين لى شباك هواجسك وفخاخ مخاوفك، كي أهوى في قعر الشجن، وينحسرَ الأمل، وأتجرَّعَ كأس المرارة. لكني لن أنهزم أو أترك الأمواج ترميني في انحدار البحر، أو أدعَ الريح تقلع جذري في الهواء. سأصمدُ كجبل، وأعلن فيك ميلاد الخريف، وأطمس لون وجهي في غياهب المساء، كقوس الشجر، وقبة النهر في آخر المدى. هذا وجهك يختلط بعزف بيانو فى صدر المدينة، ويتهادى على رقصة الأسى فى رنين الروح، يتغلغل عميقًا فى أنفاسي الهائمة في دهاليز الحياة، وعطر الدمع الخالد في اتساع رموشك في سكون العشق، وعناق اللحظات العارمة بسنابل أصابعى التى تنبت فى ضفائر روحى. ليت الزمن يتوقف! يبقى هذا الرنين يطنُّ في مسامعي، وتظل حكايتك في صدري خالدة، على هديل البحر، وهدير الشمس، تلاطم جسدي، وتشعل نار فتيل العشق في منارة العمر.

دمت بخير، وتقبَّلي ودِّي ووردي وكثيرًا من العشق.

الثَّامنة

عزيزتي عبق الزهر: حاولت قصارى جهدي، طوال هذه المدة، أن أدفن عبق الذكريات التي تربطني بك، بعيدًا، في سديم الضباب العميق. أقنع نفسي بموت شمسك في سمائي، وأفول القمر في سمري. أرضى بقدري الأعمى في صمتي ووحدتي ووحشتي. أسير أجرُّ ذيول خيبتي وانكسار القلب في نَوحي، عسى أقطع مسافات بيني وبين هذه الظـــلال التي ترسم وجه الجمـــال في كلِّ ما أراه من نبت وضوء وخلـــق

وصورة، كما لو هو مِن صنع يديك الرقيقتَين، أتنفَّسه بعمق، فيسكن فى داخلى بعطرِ الورد ورائحة الأزل وخرير النهار المرصع بجواهر روحك. لم أستطع إلى ذلك سبيلاً لأن عبقك يورق كنهر في عمري، وشمسك تشرق كل يوم في ذاكرتي، كبحر يمدُّ يديه للغرباء في وحشة الليل، ويحضن التائهين في أطراف الهاوية. أنتِ هناك قبسٌ على مشارف الحلم، تعشِّشين في خيالي فجرًا يانعًا، يتلألأ في أنفاسي، يتضوَّع بأريج النهر ومسك العندليب في روحي، يلفُني في الضوء وبياض الفراشات وزرقة المدى، كزورق يطفو على صهاريج الورد والحلم والأمل والحياة ونجوم الأرض المصبوغة بآهاتك وأنين صمتك في صخور الليل.

ها أنتِ تقاومين، تقاومين الأشباح، تصارعين طواحين الهواء، تدقِّين مسامير الثلج على حائط البحر المرسوم في الذاكرة، كمَن يريد أن يمسك بالريح. أنتِ هنا، كما هناك، ورق على مَسامِّ جسدي، يكبر في روحي أدواحًا أدواحًا، كما سماء الروض والعنب والتلال الزرقاء الممدودة في رموش عينيك، صافٍ كنعناع وقرنفل وعطر الليمون وسحر النهر الراكض فى أحلامك الورديَّة، ليتكِ تمنحينني هنيهة لأغسلَك بالورد! لأرميَ عطر شوقى فى روحك، وأحضنَ فيك اندهاش الشمس فى نبضاتى وارتعاش الروح أمام بهاء صفاء أناشيدك.

أتدرين أنك تمسكين عصا البحر من وسط الخصر؟

لا أنتِ قادرة أن تنعمي بما يجود عليك القدر من زبد الماء في ربيع صنوبر العمر، ولا أنتِ قادرة أن تتركي الخيل يراود زلَّة الحفر في تخوم القمر.

تبعثين بلحن أزلي يرن في روحي كما عبقك يشدني إلى ريحك وشمسك وقمرك وأثوابك المغموسة فى دمعى، وتناجيننى، فى بُعدك، بصوت الغدير بين فجاج الغيوم، وهمس الورد بين نسائم الفجر، كأنما لتُعلنى خلودك وعطرك في جدول جذري، وتنحتين صورتك في نايي وقيثارة عمري.

لك حبي وكثيرٌ من الماء.

التـَّاسعة

عزيزتي عبق الزهر: يصلني كل شيء عنك، على جناح الورد وريش العطر. باكرًا تفتحين عينيك على بياض أحلامك المزركشة بخيوط الشمس وألوان قوس قزح، وطيور تحلق في رأسك، مغرِّدة بأعذب الألحان الشجيَّة، وأجمل الترانيم الزكيَّة، كما لو كانت تبارك ما انبثق من روحك من شعاع، وما انبجس من ضلعك من ماء سلس دافــق. هذي أطيافُك يانعـــة، تسبح في زغاريد السكون، عميقة البهاء، ساحرة الضوء

والرنين، مبهرة شفيفة، كعبرات متلألئة على خدود النهر وعروش الزهر، سامقة فى مناراة العطر، يفوح منها مسك عشقك، وأريج همساتك، كما النور يغلِّف أصابعى بأنسام الزيزفون ومدام اللذة المسكونة بالرحيق والسفر والموت. الموت في حضن البحر المرصَّع بنوارسك، المطرز برذاذ ك وشمسك ورمالك الممتدة في جذوري منذ ذلك الوقت من الزمن، حين تلاقت الأرواح، وتعانقت في سموات الشمس قلوبنا عناقًا أبديًّا لا يُراني. على شرفة الضوء تطلِّين. تغمرك كلماتي. يفيض قلبك بمشاعر الفرح الطفولي. تسهين في الحمام الذي يطير، بتؤدة، قبالتك في الأفق البعيد، كما لو يكون يشاركك فرحة ولادة. ولادة حب عارم وامض وهَّاج. في غمرة الأحلام وخضمِّ الذكريات، تذرفين دمعتَين ساخنتَين، تبكين فرقة البُعد وألم البَين، فتتمثلينني أمامك وجهًا وروحًا، تناجينني بكل ما في صدرك من سرّ، وتبوحين لي بكل ما في نفسك من حلم، ثمَّ تمضين بعيدًا تعزفين أناشيدك، ترسمين كل ما يخطر في بالك من حلم وأمل وحياة، تنسجين السحر في كفي على مرأى النهر والزهر، وتعانقين ظلالي في موج البحر وأثير الريح فى عثراتي.

ولك حبي وكثيرٌ من الورد.

العاشرة

عزيزتي عبق الزهر: قلت لكِ في الرسالة السابقة أني أسمعك وأراك، أراك ببهاء البرد وجمال الغابات الغائرة في الماء والضباب والألوان الشفَّافة والأشكال المترعة بالضوء، كأرجوحة تتهادى بين الأشجار. قبالة نهر الخلود. أوراقٌ، بعمق الروح، تتساقط متثاقلة، كنتفٍ على جسدك الطري الناعم، فترسم فيك شهد الشمس، وعطر البرتقال، ورائحة التراب المبلل بندى عينَيك الواسعتَين، ورضاب ثغرك الباسم، تنحت على أصابعك انسياب الرحيق، وانهمار خرير الروح. يحتويك البحر. هديره يتسامى فى ذاكرة طفولتك اليانعة المغسولة بالحرير، الملفوفة بعشب الحلم وبريق المرايا المصقول بالورد، اللاَّمع بتفَّاح البساتين وقشور الليمون. تكبر في عينَيك مراكبُك، مناراتُك، أحلامُك؛ ويشعُّ اللؤلؤ والدرُّ والمرجان والزبرجد والزمرُّد في مداك. تمسين ملاكًا يعانق السحر، ويذوب فى الجمال، كشمعة بهيَّة، بهاء أجراس بعيدة فى القرى النائية، عميقة فى الرنين المجلجل. يهمس النهر فى روحك همسات رقيقة حتى لَتتفتَّتين، يسكب عمقه في داخلك، فيملأك بمشاهد عريقة من تاريخ الطبيعة، ومناظر عتيقة من مدارات الشمس. تريني وأراك. أنتِ أنا، وأنا أنتِ. سأعلن فيك ولادة عمري، ولادة تاريخي، فيختلط كل هذا البهـــاء بصوتك وصورتك وروحك، وتكـــونين الضوء الذي يتسلل إليَّ

منك، فى غمرة هذه المشاعر التى تفيض بالسحر والجمال والبهاء والمَلاحة التى تتصهرين فيها فى ملكوت فجر الحب. أتذكَّر أنى رسمتك كأبهى ما يكون الرسم، قبالةَ البحر، نائمةً على إبريسم الورد ونسيج العطر وحرير الضوء، محاطةً بزهر الموج ورذاذ رقيق رقيق، كندى الصباح وقطرات خوخ وردي اللون، ملَولَب الشكل، مثل قمر ينام على غصن غيم في سكونٍ عميق مطبق. يفوح من أرجائك صفاء جلي مثل زبد الشجر، ورغوة النسيم. رسمتُك، ورسمتِني واقفًا أتأمل بهاءك في صمت وتضرُّع ووَجَل. أرنو إليك بعينَين مندهشتَين مسحورتَين! ليت رعشة القلب تضمُّ هذا الرحيق إلى الأبد!

لا أعرف كيف تبادلنا الأدوار، وأصبحت أنا النائم على رضابك، وأنت الواقفة أمامى. تعزفين على مسامعي لحن الخلود، ونشيد العشق العالي السامق كنخل، فأرحل في عينَيك، وأسكن، أسكن في مداك إلى الأبد، لأبدأ قصة جديدة في مسلسل حياتك الغنية برياح حمامك ونواريسك.

الحادية عشرة

عزيزتي عبق الزهر: وصلتني رسالتك. غمست روحي في فراديس الأعشاب، حتى أمسيتُ صافيًا كورق التوت على صدفة الشجر، شفَّافًا كماء يتساقط على ضفائر الورد وخصلات البحر. نعمت بحرفك الذي أطلق عنان خيالي ليرسم أبهى صورة في خلدي، تشبه منظر الشمس حين تفتح عينيها، في شغفٍ، لتلتقطَ الجمال والبهاء الممدودين في الأرض، وتحضنَ ندى الزهر من شقوق الغابات ونوافذ النهر. ثمَّة سحر يسكنني يختلط بروائح الأقحوان ونسائم البحر على امتداد الغيم ومدى سمعي. أحسُّه في داخلي كنبات ما انفكَّ يورق ويعشوشب كأنفاس. ألاحقه، إنه ليس سرابًا، ليس طيفًا؛ أكاد أراه بقوة الحياة في روحي وإرادة الحب في قلبي. هل أنتِ جزء من هذا السحر الذي ما زال يوغلُ في جذوري كرنين الشمس ولحن الغدير؟ ليس لي أدنى شك في ذلك: أنتِ من أرسل شعاع هذا الفرح الغامض في نفسي. كأنَّ لك علمًا بهذا السحر الذي يملأ حياتي، وهذا الضوء الذي يلفُّني بين غطاء حلمك. من أين لك هذه القدرة على بلوغ كنه الأشياء؟ أليست روحك هي التي اهتدت إلى اعتصار رحيق هذا السحر؟ لتسكبيه في ثغر القمر، وتكبِّيه، بهَمسٍ، في كلماتك هذه وفي غيرها سبقَتها: كيف أنت؟ وكيف الشعر والقلب؟ إشتقت لحرفك، لقلمك، ونثرك السابق لغيمات أحلامي.

كم يعجبني إحساسك الجميل الرقيق! وكم أقف أمام كلماتك وكأنني أتأمَّل أعجوبة من عجائب دنيا الحب والمشاعر!

من أيِّ نبع من الجمال استقى قلبك؟ أي سحر هذا الذي يرميني بعيدًا فى عينَيك، أراك بلون النسيم وعطر الدوح وأريج البرتقال، كبيرةً مثل تفَّاح بساتين القلب وإجَّاص روض الروح. وها غيمات أحلامك تبلِّلني؛ تبلِّلني بالنَّشيد والفرحة الهاربة والسحر؛ سحر الورد والليمون والرذاذ ورائحة النهر والتراب من جسدك اليانع في كفي، ورضابك الشهي في بريق عيني، ووهج احتراقي بين رموش نظراتك التي تغرقني في السهوم والدهشة وانصياع حواسي في شمسك وريحك. قفي أمام كلماتي كما تشائين. ولتأخذْكِ الدنيا بعيدًا بعيدًا؛ لكن، لا تنسي أن السحر الذي حدثتك عنه سيظل قابعًا في روحك كأزل. وستظلين، مثلي تمامًا، تبحثين عن كنه هذا الارتجاج وسر اعتناق لغيمات حلمك ونبع سفر الريح.

تقبَّلي حبي وودي وكثيرًا من الورد.

الثَّانية عشرة

عزيزتي عبق الزهر: كان لون السماء رماديًّا، وبعضٌ منها أبيضَ كبياض الخرير من عينَيك، وبياض الأحلام المنسابة من نظراتك الآسرة التي تحملها إليَّ فرسانُك الجامحة، فتلملمني من ضياعي وشتاتي وتيهي. أجلس إليك في خشوع وتضرُّع. أتأمَّل هذا الصفاء الذي ينبعث من روحك، واضحًا كضوء قمر، شاهقًا كبرتقالة ملفوفة فى شعاع الشمس. أكاد أتلاشى في رحيق عمرك من كثرة هذا الانصياع الذي يملأُني، والسهوم الذي يغيبني في سحر جمالك الباهر. أنشده فتغمرني مشاعر السعادة، ويتملَّكني إحساس الحياة، وقشعريرة الأشجار، ورهافة الموج، وعمق الريح، ونعومة الورد، وأريج القمر يدغدغ كينونتي. يهزُّني البحر إلى أعالي الوجود. أراك ملاكًا يسبح في ثوب البهاء، أنشودةً تتهادى على صفحة الروح كأزل أخضر. يرقرق في عشب عينَيك وزرقة مناديل أحلامك. لماذا فيك كل هذا السحر وهذا الانجذاب؟ سأظل أرسم ملامح روحك بهذا الشغف العميق، وبهذه المشاعر العارمة التى تزلزلني ما حييت.

لكِ أن تقولى ما تشائين. لكنى لن أكف عن مناجاتك والهمس فى أذنَيك بهذه التراتيل المرسومة في روحي، كلوحة فنان رهيف الإحساس، رقيق القلب، يغمس ريشة الرسم في محبرة الروح، فتتشكَّل الألوان بغرس الشمس ونبات الظلال وريش البهاء المتطاير في فضاء ناعم مرمري، يكاد يتفتَّت من سحر الوجود وجمال الورد المرصع على خدود الشفق. سأظل أهمس في أذنَيك. سأظل أرسل لك احتراقي، ذاكرة عمري المفعمة بصور الحياة ومشاهد الحب. لن أتوقَّف عن الغوص فى سبر كنه هذه المشاعر الفيَّاضة التي تملئينني بها، وهذه المـــرايا التي تعكس شعاعك في دمع الافتتـــان وحرارة الشوق

إليك. سأسكبك في روحي سنبلة، وأكون كما هذا الامتداد في نظراتك، وهذه الرعشة في جسدك، تحيين بها نوارس أحلامي. تأتيني العصافير الصغيرة التي أودعتها روحي ذات صيف بعيد. بعيد في الزمن. تعانقني عناقها الأول الذي رسمته في خيالي كأبهى ما يكون: سماء زرقاء، شمس حمراء وديعة في عيني وعيون عصافيري، نهر أبيض صاف كنتف الثلج، يكبر في يدي كدوح سامق وارف بخطوط الروح وألوان الوجدان الشفيف. لن أتوقف عن مناجاتك في سري وعلانيتي. وهذا الخطاب الذي جاءني منك كان بسبب إرادتي في شقِّ طريق الحياة، وعزمي على رسم مشاعر الحب الذي غمرني به نداؤك الدفين، وقدرتك البالغة في حشد الفرح في موكب الروح. ها هوذا خطابك. يطيب لي أن أضعه قبالتي كضوء القمر. يحطُّ كحمام على غيمات أحلامي وأحلامك. أليست أحلامنا واحدة في نهاية المطاف؟ وربما يكون خطابك خطابي الذي كنت أود أن أقوله قبلك. هل حلَّت روحي في روحك؟ أخبريني كما أخبرتُك الآن. ولك أن تدمجي هذين الخطابَين كما يدمج الصوف بالجسد. ولك حبي وكثيرٌ من الورد.

قرأت كلماتك مرارًا، وأخذني ذاك السحر الذي حدثتَني عنه. حتى خلت نفسي في عالم ليس بالتأكيد هذا العالم الأرضي الذي يضيق على بتقاليده وموروثاته البالية.

صديقي: كلماتك بحر. وما هو مكتوب على السطر لا يعكس الحزن المكنون في دواخلك. أحسست به على الرَّغم من أنك تحاول جاهدًا أن تزرع الفرح والأمل في قلبي، وكأني بك لم تعِشْ يومًا الحبَّ الذي كنت تحلم به، ولم يرقص قلبك نشوةً لنشيد السعادة، لأنك كنت دائمًا، مثلي، مجرَّد ضيف متفرِّج على مواكب الحبِّ والسعادة، من دون أن يمهِّد لك العمر دربًا يُمكنك أن تكون فيها ملكًا.

صديقي: صحيح أنني أعيش الحب. ولكنني غير سعيدة. فحبي عاجز أن يطير، أن يبني بيتًا، ولو في أقصى الغابة المنسيَّة. كُتب عليَّ أن أضحِّي وأعطي ولا آخذَ سوى الانتظار واليأس والحزن الدائم. لهذا ألجأ إليك، كي أستمدَّ من بريق عينَيك أملاً في الغد، ومن شمس روحك فجرًا يضحك.

لذا، دعنا، يا صديقي، يُعزِّزُ واحدُنا الآخَرَ. نواسي أحزاننا بأحلام بريئة. لا تُسئ لمَن حولنا ولا تطعن بحبِّهم إيَّانا. أهذا صعب؟ أم إنَّنا نستطيعُ البقاءَ أصدقاءَ، فتستقرّ مشاعرنُا عند تلك الأحلام فقط؟ أتمنَّى ذلك!

كلُّ الودّ.

مَلحوظَة: إن كنت ساهرًا، أعلِمني بكلمة واحدة، كي تطمئنَّ عيني أنك قرأت كلماتي.. أنتظر..

عبق الزهر.

الثَّالثة عشرة

عزيزتى عبق الزهر: لا أعرف كيف أصف لك حالتى؟ يتملَّكنى الشوق. حنينٌ غامضٌ يتسلَّق روحي ، فيغمرُني ضوؤك، وشعاعُك، ويفيضُ القلب بالأحلام والسفر. تتراءى لي المراسي قابعة في الضباب، تشدُّني بعمق وسحر جارف. تلفُّني المراكب بين ظلال عينَيك بانجذاب عارم، وتيَّارٌ يدفعني لمعانقة وجه الجمال في أرضك. أإنسٌ أنتِ أم ملاك؟ كيف تستطيع عيناك أن تمارس عليَّ كل هذا السحر الذي أحدِّثك عنه كل مرة؟ كيف لروحك أن تسكن شجرة عمري بهذا القدر وهذا الغور؟ ثمَّة أشياءُ أخرى فى خاطري تشبه البحر فى العمق والامتداد. ودَدْتُ أن أبوح لك بها، لكن، لم يسعفنى الوقت بعد لأرسمَها بين يدَيك كاملة. ربما هي تفوقُ التصوُّر والخيال، وربما أنتظر الفرصة المناسبة لتفجيرها، وقد يكونُ هناك سببٌ مجهولٌ سيظل يحفر في الذاكرة، كعجين النهر ورنين الشجر في ممشاي. إنتظري، عزيزتي، انتظري، لعلَّ الشمس تحطُّ وردها في حضنك!

لعلَّ الروض يلفُّك بين رذاذ الفجر، ويغسلك بشهد النعناع وماء الزهر وخوخ المساء المعطَّر بالنشيد وزرقة الفراشات المحلِّقة فى خرير الروح وصفاء الذهن! إنتظري، علَّني أكتب فيك نهاية الحكاية وعروش الطين وفاكهة العصافير الطليقة، وجذور الماء وشدو الجداول الناعسة في عيون النسيم، ورقصة الريح بين فجاج السهوب الواسعة! إنتظري، علَّ بساتينك تحضنني، وتعصر في نفسي رياحينك، وتهدأ الروح من عطشها إليك ومن الظَّمإ إلى ينابيعك. مَن يستطيع أن يُسكت أغاريدك في روحي؟ سأظل أهتزُّ وأطرب كلما لاح طيفك فى نبضات العمر، وكلما سرحت، ألتقط بهاء الشمس فى الأفق البعيد، أعانق فى حمرتها رضابك ووجهك الوضاء وروحك الرهيفة وخفقات الحب فى مدى عينيك، على اتساعهما. سأغوص في رحيقك، وأنتشي برائحة العطر المنساب فى أرجاء نهارك حتى أصاب بالسحر، وأنصاعَ في لذة الورد الموشوم بندى الفجر العالي. ليتك تشعرين بهذا النغم الذي يرقص في داخلي كهدير موج، متناسق الحركات، منسجم الأشكال، يُحدث في روحي عنفوان الحياة ودفق الماء وصهيل الريح..

ليتك تسمعين أحلامى وتنامين على هدير الحمام على ربوة الشمس، كى تعلمى أن شوقي لك عارمٌ كما رائحتك في قميص الروح!

ولك شوقى وكثيرٌ من الورد والحلم.

الرَّابعة عشرة

عزيزتي عبق الزهر: مدة طويلة مضَت، وأنا أنتظر رسالة منك، عسى أجدُ كلمةً فيها،

تلوِّن وجودي برائحة زكيَّة، تدغدغ مسامّ حواسي، وتضفي على يومي نكهة البرتقال البهيَّة، وطعم الحياة اللذيذ، أترقَّبها بلهفة وشوق عارمَين، كما لو كانت هذه الرسالة منك، ستنفخ الروح في جسدي، وتفتح أبواب الريح في أرجائي، وتبعث النسيم في مدى السماء الممتدة قبالتي، أو كما لو أنَّها ستحررني من قيود تكبل قدمي، وتأسر فكري، غيوم تتلبَّد روحي، كأوراق خريف في مفترق طرق التائهين، ينكسر عليها ضوء النهار الباهت، فيسكب عليها قتومًا يشبه غبش الليل. أتصور وجهك مختلطًا بهذا الضباب، تعلوه مسحة حزن داكنة، أرى عينيك السوداوين مثقلتَين بنعاس الليل وغفوة النهار، كأنك تعانين أمرًا ما، غامضًا ومُبهمًا، أو كأنك في خضم فك لغز من ألغاز الحياة الصعبة، وحلٍّ لطلاسمها المعقدة في حضرة هذا الغياب، غيابي وغيابك عن أرض الفرحة المنشودة في الأزل، وفي الروح، وفي العين. لك أن تشكلي عجين الشمس في خيالك كما تشائين، ولي أيضًا أن أتصور وأتخيل ما أشاء من صور الحب، لكن شيئًا واحدًا سيظل يغمرنا بهذا الفيض من المشاعر الغنيَّة، ألا هو هذا القدر الذي جمعنا في خندق واحد، وفي روح تكاد تكون واحدة. أنا هنا وأنت هناك، لكن، هل يمكن أن تنسَى، يومًا، أنني سكنت خيالك، وطفت في روحك كنورس لا يعرف التيه عن عينَيك؟ كم جميلة هذه المشاعر التي تملئينني بها! أقول أحبُّك، وأشعر كما لو أن الورود تتفتح من سماع هذه النبرة مني إليك، وأن الحياة تجري في مفاصلي بالسرعة التي يجري بها النهر والغيم والهدير، وكل ما له علاقة بنَبض القلب، وخفقان الفؤاد.

أنتظر رسالتك، ولك حبي وكثيرَ الشوق.

الخامسة عشرة

عزيزتي الرقيقة رحيق الندى: أي بحر رماك إلى مملكة القديسين؟ أتصورك شقشقةً تتكسين على روحي بلذاذة، موجة تتكسر على أصابعي بلطف يشبه النسيم، تلفينني في بريق عينَيك، فأنعس في خرير الماء عار من ثغراتي ومن جرح الأفيون ومن نوبات الرحيل، أبحر بعيدًا بعيدًا، في نكهة النشيد المعطر بالياسمين وزهر التفاح المطرز بأنفاس رضابك، وخمرة عشقك الفاتن الفاتن، حدَّ الموت. أي قدر رماك في شباك جنوني ووضعك أسيرة اندهاش الليمون في انسحاقي؟ يطلع نشيدك في روحي عارمًا كحمام، كرشة ماء باذخة، تغمرني بنشوة حياة ورقصة الشمس على خدود ورق النهر، وظلال الغابات البعيدة في العمر، من زلزل في روحك اهتزاز الأوتار، وحرَّك فيك غيوم السفر في الورد؟ من أيقظ في سمرك، لواعج الارتماء في حضن الطين، ومعانقة الـــرذاذ في حضرة النـــوارس المحلقة في الماء؟ أتقـــرئين الكف في غيـــاب الأرواح

وتستشرفين زرقة السماء فى ضوء النبع؟ بالله عليك مَن تكونين؟ كيف ترسمين كل هذه اللوحات فى عمق الريح ومناديل الجفون؟ أيمكن أن يكون فيك كل هذا البهاء المرسوم بكل هذا الاتقان وبكل هذه المهارة؟ بالله عليك عزيزتي رحيق الندى، لا تقتربي الى هذه الشجرة العميقة، ولا الى هذه الأغصان التي تتدلَّى مني اليك...

تحيَّاتى.

السَّادسة عشرة

عزيزتي رحيق الندى: لماذا فيك كل هذه الرقة، التي تشبه مياه الثلج في الجبال الغارقة فى تخوم الضباب؟ وفيك هذا السحر، الذي تدب نشوته فى روحى، عارمًا كظلال الغيوم في الأفق البعيد، يغمرني بالحلم والسفر والنشيد؟ لماذا فيك كل هذا الجمال الذي يأسر لبِّي، ويذيب قلبي، فأمسي مفتونًا لدرجة الدهشة والانبهار والصدمة؟ أهيم في بهائك هيام الحالمين بفراديس الشمس وقناديل العشب وينابيع الماء، أغيب عن الوجود، أتعقب عطر روحك الذي يفوح في أرجائي مسلوب الإرادة والعقل، فأجده قويًّا عميقًا أزليًّا. تُرى، أين كان هذا العطر مخبوءًا طوال هذه السنين من عمري؟ يُهَيَّأ لي أني أعرفك، تمامًا كما بريق هذا النهار وصفاء هذه السماء، وكما خفقات القلب ورعشات الروح فى أنفاسي. أيُعقَلُ هذا؟ أكاد أصدق أن تعارفنا تمَّ منذ الأزل، وأن أرواحنا تلاقت هناك، هناك في الزمن البعيد؛ وإلا، ما هذا الانسجام الذي ينظِّم دقات قلبَينا في خطٍّ مُحكَم عجيب؟! وما هذا التجاوب الذي يحكم خفقات أرواحنا في بوتقة مركَّزة غريبة؟!
عزيزتي رحيق الندى: تتلألئين في روحي كشمس، وتومضين في عيني كورود البساتين، تأتينني مضمَّخةً بنسيم الفجر، ومترَعةً بأريج الليمون، تحطِّين كحمام على روحى، فتورق أصابعى بزهر فوَّاح يملأ أنفاس السماء بنجومك، فأنشد الهدوء والسكينة فى عينَيك. أعانق فيك وجه الصباح وسحابة مطر وعروش الماء، والى آخر العمر أنشد فيك حلمي..

دومي بخير، واسلَمي.

السَّابعة عشرة

عزيزتي رحيق الندى: لماذا كلما همَمت للسفر إلى ضفاف الظلال ومرافئ العشب، تداهمني صواعق المطر، وتبطش بي رياح البحر، فرميني بعيدًا في السديم، أصارع الموت، والأشباح تتلقَّفني بين أنيابها الحادَّة، تقطع أوصال الدرب وتكسر جسور خرائط

الضَّوء في الممرات ودهاليز العمر؟ هل كنت أحلم يوم رأيتك بحلّة القمر، ترفلين في الماء وتسكبين الرحيق على أكواب الشمس وتطرزين الأحلام على صفحات أنفاس الأشجار؟ هل كنت أحلم يوم جئتني وفي يديك باقة من عقيق المرجان والحرير والزبرجد، تتلألئين في النهر، وتلمعين في الغدير، كخيوط الشفق يتهادى في أطراف الأفق البعيد، ويلملم رحيق البحر في نشوة ملاك ونغمة أرجوحة في الهواء؟ هل كنت أحلم يوم أرَيتني زهور السماء على شكل نوارسك في رأسي، وورود البساتين على نمط فراخك في روحي؟ هل كنت أحلم يوم خفق قلبي في حضرة عينَيك العسليَّتَن، ودبَّت قشعريرة في جسدي حتى ذرفت عيناي من شدة تأثري بمشهد الضوء في روحك العارمة بعطر الصباح وندى الفجر؟ هل كنت أحلم حين تلَوت على مسامعك حكاية أحلام العمر وقصة امرأة، كنت أنحت وجهها في رذاذ العطر، وأرسم روحها في وجه الماء، فارتبكت بانفعال وطفقت تنظرين إلي بانشداه ودهشة، كما لو كنت لا تصدِّقين ما يجري من حولك من تماثل في الرسم. أأنا أنتِ، أم أنتِ أنا؟ تشابكت النظرات ورحت تلوِّنينني بأنفاس عمرك البعيد بومض في عينَيك وبوهج جامح، حتى بتِّ متيقِّنة بصورتي في ذاكرتك. رقصت من الفرح، طرت في الريِّح. أيكون كل هذا حلم جرى في منامي؟ أيكون مجرَّد شريط رأيته في حلمي؟ سأصدِّق أنه حلم مرَّ في منامي وانتهى كما تنتهي كل الأساطير والأعمار والسنين، لكني سأظل أبحث في روحي عن سرِّ هذا الوجود، وهذه الخفقات التي تدفعني للبكاء والموت والرحيل والجنون!

تحيَّاتي، ولك الشمس.

الثـَّامنة عشرة

عزيزتي رحيق الندى: ابتعدت عنك، عنوةً، هذه الأيَّام. رميت معاطفي في الريح، وسندت ظهري على حائط بارد، بارد كما ملوحة زمن منكود، كما شهقة جامحة، تركب صهوة التيه والضياع، وعفونة زرقاء في مرايا العشب، أردت لها أن تنسحق في درب العمر، وتتلاشى في هبوب الصقيع كطيف البحر، ونسيم الغدير في الممرات. علِّي، منذ هذه اللحظة التي نأيت فيها عن ضفافك، أرتِّبُ مأساتي بوجه يتساوق مع تيارات انقلاباتي، أصبغُ الأيَّام برماد الرمح المدقوق في ذاكرة مساراتي. علِّي أجدُ حلقتي المفقــودة في شريط العمر المدفون في أرصفة الخريف البعيدة! هناك قطعة من

روحى خطفتها أياد غلاظ – فى غفلة منِّى – لترميَها فى قعر الأرض وغورها السميك. أتخبَّط فى التفكير، أسهو كملاك فى بياض زبد البحر، فى مشهد شلال ماء بارد ينسكب من روحي، في سواد عيني امرأة عميقة النظرات، في اهتزاز لحن عارم يأتي من شفاه نهر، أو من زرقة شمس تتلاشى في أديم الزهر، أو من صفحة مركب غارق في العباب وصخب السفر وومض البرق، الذي يعانق الحلم والأمل ومشعل الحياة ورقص المطر في الأفق البعيد. تختلط في نفسي الأطياف، يستحوذ على حواسي رنين الأصوات، دائما تملأني امرأة برذاذ الورد وعطر التفاح، وأدور أدور، لكنْ، من دون أن ألتفت إلى الوراء، إذ دائمًا هناك ثمة من سكنت بحاري، من أخرجت روض الرحيق من روح الشمس فى قلبى. هل روحها تطلع فى عيون هذه الأرض، فتسحرنى نظراتها الساكنة في جذوري؟ هل نسماتها تنتشر في الأرجاء، فتنعش ذاكرتي برائحتها النائمة في عروقي؟ ليتني أعرف ما يصيب عقلي! وما يحدث لنفسي من حالات الهيام العجيب، أصير مسكونًا برحيق البحر.. وهدير العطر في رأسي يصبح له تأثير آخر، غير ذلك الذي يعبر عنه الناس فى أحاديثهم اليوميَّة. ليتنى أفهم ما يحصُل لى! ما أكثر ما يشدنى طيفك ويسافر بى إلى مراسى النَّخيل ومنارات العطر وسواقى الماء، كما لو لأولد في حضن الجمال والسِّحر وبهاء الضَّوء المصفَّى من عروش الفجر وزهر العنادل.

تحيَّاتي، والورد.

التـَّاسعة عشرة

عزيزتى رحيق النَّدى: لمَ حبُّنا قاس على هذا النَّحو الدرامى الذي يبعث فى نفوسنا رغبة الموت فى حضن الظلال، ظلال عيوننا؟ لماذا تنأى مراكبنا بعيدًا فى تخوم الغيوم؟ نرى بعضنا البعض بعيون مغر ورقة، وقلوب دامية، وأرواح متأثرة، مرتدين ثوب الموج الممزوج برائحة التراب، كما لو كنا نود أن نهاجر فرحة الشمس في كفَّينا، وضوء القمر المشع من عيوننا، كنبات التوت، كلما كنا على قاب قوسين أو أدنى من أن تتشابك نظراتنا، وتختلط أنفاسنا؟ لمَ هذه القسوة تطبع عشقنا؟ هل هو سلوك راسخ في نفوس العشاق؟ أسِرٌّ هو من أسرارهم رسا في لاوَعيهم، يحرِّك لديهم الفضول، لاكتشاف كنه الأشياء التي تحيط بعالم المشاعر، وسبر جوهر الموجودات التي تحف بفضاء الأرواح، أم هو مجرد تلاعب يمارسونه لغايات طاعنة؟ طاعنة كرمح الحديد في مفاصل الجسد. لست أدري، تمامًا، ما الذي يجعلنا على هذا القدر من الغلظة والفظاظـــة والخشونة والنفث اللاَّفح كلَّما اقترب موعد الهناء ودنت مسافة الفرحة؟ لِمَ

طبعك مجبولٌ على هذا السفر والبعد؟ لماذا تخافين الاقتراب من عيون النهر، والدنوَّ من ماء الزهر؟ أحدث لك، فى صغرك، ما يجعلك متوجِّسة من همس الغدير؟ أوقع لك، في طفولتك، شيئٌ، يدفعك إلى إدارة ظهرك لخرير الشمس وقت الظهيرة؟ عندما تجدين الجواب، ابعثي به إليَّ على جناح السرعة، ولكِ ودِّي، والكثيرُ من الورد.

العِشرون

عزيزتي رحيق الندى: أي مدى يخطفني إليك؟ أتذكر ذلك اليوم البعيد/القريب إلى روحي كنسيم الحياة، كشلال ماء يتدافع، أبدًا، في المراعي، ويجري في هضاب الأرض جريان الأنفاس في الرياض والبساتين، أتذكره كنقطة ضوء عائمة في السديم، كمركب على موج عات، يلفه البرق ويغشاه، أستعيده بنوع من اللذة والنشوة والسهو، كما لو كان عبيرًا يتخلل مسامّ جلدي، ينعشني بهواء نقى، ويحيى روحى بنفحة باردة، أستفيق على إثرها مثخنًا بالنشيد والحلم والأمل، فأعانق حلم البحر في ارتطام بذخ، ودوخة سامقة، كنبات في منحدر النهر، أو زوارق متهادية في الماء ولمعان الضوء ونعومة الريح. أراني، في حضرتك، ذلك اليوم، أقلب الأشياء في ذاكرتي كما لو لأفحصها لأوَّل مرَّة، وأشاهدها على خلاف ما أخزن وأعرف: عميقة ناضجة متطورة. أتذكر أنني بكيت من لذة غير مسبوقة حين أخذت أصابعك تعزف الرغوة والمطر ورذاذ الطفولة وشتات الموج وخشخشة العشب في مسامعي وحواسى، فطرت من غصن عينَيك إلى سماء روحك، مفعمًا بأنفاسك وهمساتك ورجاتك وسحرك؛ تغطيت برموشك الرقيقة ونظراتك المثقلة بالعشق والهيام والفرح والموت، نعست على عطرك الفوَّاح، كعرش يتدلَّى على ظلال أشجار البرتقال واللَّيمون، كنورس يعانق الغيم، ويحلِّق في مدى الريح. لا يمكنني أن أصوِّر كل ما كان ينتابني من أفكار، وكلَّ ما كان يعتمل في داخلي من إحساس، فذلك صعب وشاق، لكني قادر أن أتحدى الوهم، أن أثبت هذا الشعور، وأتمسَّك بهذا الوصف، وأذهب بعيدًا إلى منتهى القصة، أقف هناك متحديًا كل مَن يومئ إلى إسقاط حسابى فى قياس المسافات بينى وبين الوجوه من حولى، أو يخلط بينى وبين الألوان والأشكال فى حدود ذلك اليوم. أعرف، يقينًا، أن ما عايشته من أحداث في ذلك الوقت كان حقيقة، لا غبار عليه، عايشتها بروحي وكياني ويقيني كذلك، لدرجة أن كل ما جاء مني بعد ذلك من تخطيط ورسومات كان بإيعاز من تلك الأحداث الشديدة الصلة بذلك اليوم. كنت أقول: إني نعست على عطرك العبق؛ لكنه ليس كذلك النعاس الذي عهدته من قبل، هذا نعاس كان فيه شموخ وافتتان بشيء ما. شيء أحسه ولا أراه، أو أراه ولا أحسه، لست الآن في عالمـــي الأسفل لأعـــرف

تمامًا ما يحصُل لى، أنا فوقه فى السماء، أرفل فى الغيوم، بعض البرد فى يدي ناعم، الزهور تحفُّنى من كل الجهات، بعض منها ينزل رقيقًا على جفونى، فيغسل أشواكى التي نبتت في الأرض، ويجفِّف من طريقي البقع السوداء التي كادت تنسيني فرحة الأيَّام. ما أزال في السماء أطير، لكنه طيران خفيف أخفُّ من الروح، وأخفُّ أيضًا من ريش حمام، يداي طليقتان كما لو كانتا تتحسَّسان الوجود، من جديد، عن طريق هذه الطاقة التي جاءتني، بغتةً، من هذا النور المنبعث من عينَيك. ما زال عزفك يكرس في روحى هذه النشوة الجديدة، وما أزال أطير؛ لكن، هذه المرَّة، بيقظة تامة، أراقب عزفك كي أتعلم الشدو ولا أطير وحدي، لا أعرف كيف جاءتني الفكرة، وانغرست في وعيي على الرَّغم من أني فى السماء؟ لكن من المؤكد والطبيعي أن تبادلَ الأدوار فى الحياة مسألة حتميَّة تقتضيها الفطرة والغريزة وحب البقاء؛ وإلاَّ، كيف يمكنك أن تبقيني في مملكتك بهذا الوصف المتناهي: أنت العازفة وأنا المسكون بعزفك. أنت الآمرة الناهية وأنا الريشة في مهب الريح. على الرَّغم ممَّا أضافته إليَّ التجربة الخصبة من كلِّ هذه الأوصاف الغارقة فى الجمال والبهاء، فهي بالتأكيد تجذبني إلى موقع آخر، إلى امتلاك القوة والدهشة والسحر. لذلك كلِّه، أطير هذه المرة، بيقظة كاملة، حتى أتعلَّم الشدوَ، وأطيِّرك كما تشاء إرادتي و:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

هي قصتي معك في ذلك اليوم الأوَّل من الصدمة. أرجو أن تصلك مشاعري، وانتظري البقيَّة التي سأرويها لك على حلقات. أرجو أن يتَّسع صدرك لها، وإلى ذلك الحين تقبَّلي تحيَّاتي والكثيرَ من الورد.

الحادية والعِشرون

عزيزتي رحيق الندى: لكم يلفني طيفك بين غمام الحزن! تشرد أحلامي، تتكسر مراكبي في موج عينيك، تعتريني مساءاتك الغامرة بالمطر والضوء والحلم والسفر، فأنصهر في أدواحك، تغطِّيني ملاءاتك بسحر فاتن حدَّ الانتشاء برائحة الزهر وعطر الوادي. أستعيدُك بين لحظات عمري وجهًا طفوليًّا يتسامى في رحيق العمر، يركض قلبى إليك، ترتجُّ مشاعري، يضطرب خلدي، أرسم وجنتَيك على دمع الأقحوان، فتختلط مراياك فى روحى، ينبت وردك فى نفسى؛ أي نكهة هذه التى تتملَّكنى كلَّما حضرتنى ذكرياتُك وسكنتني أطيافُك؟ أي سحر يأخذني إليك بهذه القوة وهذا الوجوم؟

لك أن ترحلى بعيدًا فى صقيع الوحدة ووحشة الرصيف، أن تغزلى أشجان صفصافك فى مدى انحدار النهر ومنعرج الدرب الطويل، أن تنحتى متاهات الحلم فى خرائط العمر المنكسر في شوكة الدم ورمح العذر القاتل، أن ترفعي نايك في عتمات الليل كي تستريح من طعنة الأحباب وقتامه الموقف على مسرح الحياة الباهتة، أن تطلقي كل هذه الصرخة في صمتك المكتوم عبر ارتطاماتك المنحورة. لك كل ذلك، لكن ليس لك أن تلوي عنق المساءات التي رشفنا فيها صفو الروح وأصغينا فيها لنشيد العمر وصدح البلابل، ليس لك أن تطوي صفحة الليالي التي قطفنا فيها، ماء الزهر، وثمار المطر الوارف من حدقتي النجوم. سأظل أنبش في ذاكرتي عن سرٍّ هذا الارتجاج الذي يغمر وجودي كلَّما مرت نسائمك بقربى ولفتنى فى عباب الرحيل إلى مناراتك وشموعك وبذخك وإلى آخر العمر ستظل غيوم الحزن تعزف في نفسي سيمفونيَّة الوجد والاحتراق والموت، وسأظل أشمخ في وردك الذي نثرته، بعمق وقوَّة، حين أخذني جنونك بعيدًا في سكون العزف وروعة مشهد المساء، وهو يتراقص في ضباب البحر ويعانق فى خضم العباب الزوارق المسافرة فى غيم الأفق ورذاذ المطر الرقيق. سأظل أبدًا أحتويك بين جناحى أحلامى التى لم تكتمل بعد، سأظل أصيخ السمع إلى دقات قلبى كي أرسم منها عقارب الصوت الذي انبعث من روحك، وترك في نفسي كلَّ هذا الجمال.

وإلى ذلك الحين، اسلَمي، وكونى بألف خير!

الثـَّانية والعِشرون

عزيزتي رحيق الندى: لماذا تنبعث رائحة عطرك من ثنايا الليل، ويتسلل وجهك من نوافذ الأصقاع مترعًا بالحلم وألغاز المساءات؟ لماذا أدور في فلك شمسك، أفتح أزرار نوارسك العائمة فى رأسي، كما لو يجرفُنى شلال إلى ينابيع الفراشات وندى الأدواح؟ أدور وتدورين في روحي كنشوة تدغدغ البحر في انشطاري وموتي بين طراوة نهرك المتدفق في عمري، كما لو تخطفُني القوارب إلى منتهى النشيد حيث أرشف الغيم باحتراق وسحر ناصع ناصع، كأصابع الربيع؟! لماذا أتمزق بين شراشف الماء؟ ترقص الأشجار فى مدارات الريح، وتتهادى أوراق التوت راسمةً أفقًا لغواية الحلم والأمل والفرح والانشطار؟ لماذا تأخذنى نسماتك إلى طفولة يانعة، تفتح دفاتر الحرف ودروب الصباح الوامض، حيث يفرك الجمال عينيه، ويبسط جناحيه على أفرشة العشب ويعانق السكون وصخب الضوء؟ كم أسهو في روضك، ترقص عصافيرك في روحي، تتـــرك صدح الشمس في صدغي، أينع كما غمام موج، فتنزلق المسافـــات في

غور القلب، وتتشابك الأرواح فى نغم عال، يهز الأفئدة، ويرج مجاذف السفر إلى عينيك، فأرسمك فى أبهى حلل، كما لوأد خل إلى طقس سحري، من أوقد فيك نهر الخلود، وأشعل في روحك شجر الحياة؟ من نحت في عينيك هذا البحر، ورسم في شفتيك اندلاع المطر والماء؟ أكاد أوقن أن في يديك عصا من سحر، توقظين بها هذا النهر النائم في ذاكرتي، وهذه الغيوم الراكدة في خلدي؟ هل تذكرين كيف كنت أحلق في روحك؟ كيف كنت أطير من سعادة فائقة الوصف؟ كيف كنت أمرح كطفل، وأنظر إليك كما لم أرك من قبل.

الثَّالثة والعِشرون

عزيزتي رحيق الندى: آه لو تعلمين كم من حلم يراود روحي، حين يعبر وجهك خطوط السماء، وحين تسكننى رجفة البرق، برق مراكبك الطافحة بالنشيد والسفر. آه كم من شعور يزلزل كياني؟ أي لغة تصف لك وجوم القلب وانبهار الروح أمام هذا الطوفان الذي يرميني في سديم عينيك وبحر مداك؟ هذا مطر يرشقني بأمواج فرحة لا توصف، وهذه نوارس تغطي جسدي بحرير ورد ناعم حد الموت، وهذه سيمفونية الوجود ترقص في خلدي، تخلخل النهر في خطوي، تعتريني عصافير الصباح، تسبح في روحي كملائكة طفولة يانعة، تطير، تطير، تحلِّق في رأسي كقرى هاربة في ضباب عائم، وسكون مطبق يغري على ارتشاف نخب الخلود، واحتساء كؤوس الرحيق. لا تسعنى السواقي، ولا المروج ولا المراعى فى أن أعانق انتشائى، فى أن أعصر هذه الحرارة التى زودتنى بها أنفاسك. من أين تأتين بكل هذه الشمس وتزرعينها في داخلي، فأولد كزهر ينثر عطره في النسيم. من أين تأتين بكل هذه المرايا وتضعينها قبالتي كما لو لأسافر في رنين شلالك العارم بالضوء والعطر. سأبكي كثيرًا في حضرة مراياك، وسيلذُّ لي ذلك، لأني سأستحضر طقسك السحري، سأمسك كل الأحلام التي كادت تضيع في الأمواج، كل المعاني التي انبثقت من نهر مسائك الغامر بالطين والعشب واللحن، سأعانق وجه الريح، سأسند ظهري لقوارب الأشجار، سأرمى ثقلى فى الماء للأبد، أترك الرغوة تنشد فى روحى شهوة الموت، ولذة الافتتان بقوس الأفق البعيد، أراني ألملم البياض الكثيف من عمق السماء، أغمس أصابعي في حمرة الشفق المترامي حد النهاية، أطياف من الغيوم والنوارس تحفني بفرحة مدوية كما همس السواقي وخرير الورد، أطلق ذرات اهتزازي وأنشد فيك موتي... والى آخر العمر أسكن عينيك وأولد من سواقيك.

الرَّابعة والعِشرون

عزيزتى عبق الزهر: ها هى ذي الأقدار تجمعنا من جديد، بعد أن يئست تمامًا من أن يكون لي لقاء بك ثانية، جعلتك ذكرى يخفق لها قلبي متى جلست أرسم عبق سفرك في ذاكرتي وذاكرة الحمام المحلق في الفضاء، وفي غيوم البحر الرابض في نظراتي. تجمعنا الأقدار، ومن عجب، في مكان آخر لم يكن يخطر في بالي أن تكوني فيه. أخذنى السهوم مأخذًا بعيدًا، صمت صمت الساحرين، الذين فقدوا عقولهم، وسلبوا القدرة على التحكم فى مشاعرهم وعواطفهم حتى يخال من يراهم على هذه الحال أنهم صنم من حجر أو ماشابه. سرحت طويلاً في شجرك النابت في روحي، كسماء تطبق أنفاسها على جزر البحار، وجداول الأنهار وصهاريج الشمس الوامضة بعطر روضك، سرحت في شعاعك الأول الذي حفني بالورد وماء الشجر ورذاذ المدام المشع من عينيك، سرحت في الشمس التي امتدت منك إلى شراشف العمر. كنت أقول – وأنت هناك في ذلك المكان القصي – بين غمام الشجر وضباب النوافذ المشرعة على الأحلام المتناثرة على رصيف القمر. أيعقل أن تغيب هذه النسمة التي كانت تهب في روحي فأورق بين فجاج الأفق البعيد، تطير فى رأسى نشوة الفرحة كخرير المساءات، تغنى النوارس في كفي، يرقص الموج عميقًا في صهريج الروح، تنبت أصابعي في صخب الماء، تنحتني المرايا في زرقة السماء حفيفًا لظلال أقواس الغابات البعيدة والغصون العائمة في صقيع الريح. أيعقل أن يصبح كل ذلك خيوطًا تتقطع على مقصلة الروح؟ لم أكن أصدق ذلك في خاطري، وها هي الأقدار تثبت حدسي وتؤكد عواطفي وإلى آخر العمر أعانق فيك مراكبى وأمواجى.

الخامسة والعِشرون

عزيزتي عبق الزهر: هذه الليلة لا أعرف ما الذي دفعني إلى قراءة إحدى رسائلك الأولى تحت غيوم سماء قبضت روحى فى سديم الموج، ورجَّت كيانى فى مخاض الريح. خالجنى التفكير طويلاً فى كثير من ملامح البحر فى عينيك، فى ضفائر النهار المرسوم على خدك الطري، فى لحن المطر تحت نظراتك الحزينة، غسلنى عطرك وبوحك، اكتملت كينونتي حين عانقت في روحك هذا العطش وهذا النبل، لملمت شتات اندحاري وموتي في امتداد حرفك المنحوت على صفحة الماء العارم بالحلم، ليتك تسمعين خفقات القلب التي ما فتئت ترسم صورتك عبر رنين موسيقى منكسرة على أرصفة العمر وأنا أقرأ لك هذا الخطاب الجميل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أسعد الله أيامك بكل خير. منذ زمن والواجب يدفعني

للتساؤل عنك وعن أخبارك، إلا أنني أتردد في كل مرة مخافة أن أزعجك أو أثقل عليك برسالتي كيف أنتَ؟ ولم تغيب عنا كثيرًا؟ وما أخبار كتاباتك؟ أنا لا أدري إن قلت لك عن اسمي... اسمي.....، وأعمل في وظيفة إدارية في جامعة ..... منذ ١٧ عامًا. وطبعًا مللت من هذا الروتين اليومي الذي لا جديد فيه سوى بعض فرح وكثير من الألم وبعد العمل في المساء. أجلس في الشرفة مع فنجان القهوة المفضل لدي وبصحبة كتاب الله؛ إذ وجدت قراءة القرآن تجلب لي الراحة والسكينة والاطمئنان.
وفي السويعات الأخيرة من الليل أشاهد التلفاز وأحيانا أتصفح النِّت، ولكن، قليلاً. إذ بدأت أكره عالم النِّت... فالزِّيف بات فيه أكثر بكثير من الصدق.
صديقي والأديب الرائع، أعتذر عن ازعاجك اليوم برسالتي.
ولكن، صدقًا، أودُّ الاطمئنان عليك ومعرفة أخبارك. فأنا أحب كتاباتك جدًّا، ويسرني دائمًا التعلُّم منك.
ودِّي ووردة بيضاء،

أنت حين تهمسين تكون همساتك أشبه بنسيم ورد يتلقفه الروض في سكون واجم وصمت صارخ.
حبِّي وكثير من الزهر الفوَّاح بعطر الليمون.

السَّادسة والعِشرون

عزيزي وصديقي،
قرأت ايميلك اليوم بكثير من النشوة، وغزل لمع في عيني جعل من فتاة كانت منذ قليل تجالس الليل وشرفة القمر أسعد النساء.
كم كنت أحن لحرفٍ منك. وها هو قلبك الجميل لم يدع انتظاري يمكث طويلاً صابرًا. بل هو أكثر من حنانِ قلبي حين أمطرني بزهور مرويَّة بعطر الليمون.
إشتقت إليك حقًّا. وكلَّما تزورني حمائم شوقك أهرع إلى حدائق رسائلك الأولى وأقرأها وألتقم حروفها حرفًا حرفًا مخافةَ أن يضيع بعضٌ منك لم أخبِّئه في روحي بعد.
كيف أنت، وكيف هي الحياة معك. أريد أن أعرف عنك كل شيء: حياتك الخاصة والعمليَّة، حكاياتك، وما أخبار الحب والهوى في عمرك؟
لا أدري لمَ أتطفل بأسئلتي، وأنا ما اعتدت أن أواجه أحدًا بأسئلتي على نحو مباشر. ولكن، هو حبي للتقرب منك، للإحساس بدقائق يومك، للدخول إلى محراب قلبك، ولمشاكستك أيضًا. فهل تسمح لي؟ أنتظر حرفك وليته يصلني مع يمامة تعطرت بلمسة من يديك. لربَّما أدرك أن لليل مذاق آخر، شبيه بالحب.

عزيزتى عبق الزهر: ها هو الليل طفق يزحف ناشرًا جناحيه على المدينة. أجلس كعادتى على كرسى قبالة شاشة الإنترنيت فى البيت وعلى جانبى الأيمن نافذة أرى من خلالها – من حين لآخر– الغيوم التي طالما حدثتك عنها في أغلب رسائلي، أنها تقبع أمامي في الأفق كسرب ضباب عائم. بعضها يتسلق روحي، فتنساب المشاعر رقيقة شفيفة كغدير ينداح بين الأشجار بعنفوان زاهي رقراق. أتتني رسالتك، حضنتها بحرارة وشوق لاهب. تمنيت لو أرسم عينيك في مخدتي! أنحت روحك في عطر الليمون! أنشد فيك لوعة الفرح في نشيد الصباح، في بسمة الفجر حين تطير الأعشاش كي تبحث لها عن دفء الحياة وسحر الوجود بين خرير المطر المنهمر من شقوق الوديان ومنابع الطين فى القرى البعيدة النائمة فى الجبل، ليتك ترينني الآن كما أراك هناك، تطرزين الغيم على شرفتك العالية، تبوحين للقمر عن أسرار السفر وخبايا الرحيل وكيف تسكنك هواجس الموت في حضن العشب المعطر بأنفاس المطر وأرواح الجداول المرسومة بأناقة باذخة حد الانصهار في رزم النسيم؟ أراك وأرى حزنك العارم والضوء الذي يحوم حولك كنورس. إن روحك هى من تبعث هذه المشاهد واضحة – كما أصابع اليد – لمن سأعطى هذه الأساور التى نبتت فى قلبى، واعشوشبت فى مفاصل البحر حتى أضحت لامعة لمعان روحك البعيدة/القريبة. هل تسمعينني وتسمعين همس الليل، ودقاته الخفاقة؟ إذًا فلتنعمي بالحب وليكن له طعم شبيه بالليل.

دومى جميلة، ولك حبى وزهر الليمون المعطر بالرحيق.

السَّابعة والعِشرون

مساء الحنين لحرفك الذي يأخذني إلى هناك، إلى رجل أتلهَّف لمعانقة حروفه كطفلة فقدت حضن الدفء طويلاً. عذرًا لأنني تأخَّرت عليك؛ ولكن السبب هو ما يفعله حرفك في من خلق جديد فى حنايا روحى. يجعلنى أنسى المكان والزمان، وحتى نفسي، وأعيش فقط في محرابك أنت ومحراب السكون إليك. كُن بخير. إشتقت لك عزيزتي عبق الزهر: كم يسعدني أن أقرأ ههنا لوحة العطر! التي طالما حلمت أن أحضن ألوانها وملامحها إلى عمري كي يتسنى لي أن أفخر بها، وتكون منعطفًا أسجله فى دفتر الحياة. ليت الريح تخدش غيمتى المترامية هناك بعمق تراجيدي! تزيح مراياي جهة الغابات الكثيفة بلون عينيك! تدفن أقمصتى فى رموش الحزن! لعلى أتنسم لهفتك المستعارة من مناديل الطفولة وأعصر في شفاك سحر الموت! سحر الغياب في مسامّ الروح! سحر العطش الى الحبيب! هذه الليلة كم توحدت روحك في صفاء نادر مع نبضات البحر! سكبت رحيق أشجار موغلة في ومض الشمس. رميت رذاذ العطر من

نافذتك إلى فراشات معلَّقة في الضوء. كم كنت مدهشةً حدَّ الافتتان! أيُمكن المرءَ أن يتوَّحد مع أطياف المساء ويلملم السحاب البعيد بهذا القدر وذلك الإصرار؟
عزيزتي، أنا نفسي معك أنسى كل شيء. أترك العالم ورائي وأجري إليك في سهوم الروح. أجري وأحضن فيك لهفة انشطاري..

كوني بخير واسلمي.

الثـَّامنة والعِشرون

عزيزتي رحيق النَّدى: ها أنتِ تتوارين عن الأنظار. تلتحفين صمتك الغائر بعناد. تتركين دائرة الضوء وزاوية الشمس، وتهربين بعيدًا إلى ذاك الركن حيث تخيِّم الغيوم في سقفه، وتربض الهواجس والمخاوف في صدره، كعثرات تقف لتعرقل طلاقة الفكر وانفتاح الروح لتحلم كما يشاء لها أن تحلم. الظنون تكبح جماح العقل في أن ينطلق كي ترسم فلتات الفرح وانبلاج الصبح على أرض السفر الجميل.
لماذا ينبغي أن نتقوقع ونعانق رماد الأحلام بعمق تراجيديي؟ وننـدمج مع كآبة الحياة بهذا القدر الوافر؟ نجرّ ذيول السحاب، نضمّ رزم الجروح، نسكب ملح عبراتنا على ساعات أيامنا. لكم نضيع في أمواج السديم ونتوه في ضباب قاتم...
هكذا نفعل بتلذُّذ نادر ومتعة تفتّت أصابع الأنفاس في غمرة الحياة. لكأنَّ الحياة قائمة على هذا التقابل السرمدي: الظهور/التواري، الحزن/الفرح. والقائمة طويلة... هلا أصغيت لنداء الفرحة هذه الليلة واستجبت لدعوة الظهور؟ عسى قلبك يرفرف لعطش المساء البهيم! ويطير فؤادك في غيم الأفق البعيد! هلاَّ تنفضين عنك غبار الصمت وتلملمين الكدر وترمين به، بعيدًا، في عمق الحب، كي تكوني روضة غنَّاء وزهرًا فوَّاحًا ينثر عبقه ورحيقه في أرجاء العمر، تمامًا كما موج يراقصُ المدى بانتشاء، ويعانقُ البهاء بغنج باهر، على مسرح السماء والأرض.

هلاَّ تفتحين نوافذك وتشرِّعين أبوابها كي تحطَّ نوارسك في بياض غيومي وتحلِّقَ في سماء روحي.

Free and open culture makes peace, 1969
Culture can't be purchased or sold, 2004
To give for free is contagious too, 2008
La culture, libre et éclairée, fait la paix, 1969
La culture ne peut être achetée ou vendue, 2004
La gratuité, elle aussi, est contagieuse, 2008
Naji Naaman
ألثَّقافةُ، الحُرَّةُ والمُنفتِحَةُ، تَصنعُ السَّلام، ١٩٦٩
ألثَّقافةُ لا تُشرى ولا تُباع، ٢٠٠٤
ألمجَّانيَّة، هي الأخرى، تُعدي، ٢٠٠٨
ناجي نعمان

www.najinaaman.org

ISBN 978-9953-580-36-4

للغلاف و الظهر

عبد العزيز أمزيان
رسائلُ حُبّ
مؤسَّسة الثّقافة بالمَجَّان

عبد العزيز أمزيان
رسائلُ حُبّ
مؤسَّسة الثّقافة بالمَجَّان

عبد العزيز أمزيان
رسائلُ حُبّ
مؤسَّسة الثّقافة بالمَجَّان

عبد العزيز أمزيان
رسائلُ حُبّ
مؤسَّسة الثّقافة بالمَجَّان

عبد العزيز أمزيان
رسائلُ حُبّ
مؤسَّسة الثّقافة بالمَجَّان